العرب
الجمعة 2020/09/18
السنة 43 العدد 11824

الزبداني رئة دمشق وقبلة زوارها تعود لها الحياة

جهود حثيثة لإعادة المنشآت السياحية إلى سالف نشاطها

تعرف مدن ريف دمشق بأنها متنفس لسكان العاصمة السورية لما تحتويه من منتزهات ومطاعم وفضاءات عائلية، لكن هذه المنطقة شهدت دمارا خلال سنوات الحرب فهجرها السوريون وهجروا منتزهاتها لسنوات. اليوم وبعد عودة الهدوء وبعض الاستقرار تستعد هذه المدن، ومنها الزبداني، لإصلاح البنية التحتية ومساعدة أصحاب المنشآت السياحية على استعادة نشاطهم واستقبال الزوار.

دمشق - بدأت الحياة تعود إلى منطقة الزبداني شمال غرب العاصمة السورية دمشق، والتي تعرف بأنها رئة العاصمة ومقصدها السياحي الأول وسلة الفاكهة المميزة ومياهها العذبة.

وبعد ثلاث سنوات من استعادة القوات الحكومية السورية السيطرة على منطقة الزبداني وخروج المسلحين بموجب اتفاق مصالحة، ونقلهم من منطقة وادي الزبداني التي تمتد إلى الحدود السورية اللبنانية إلى محافظة إدلب شمال غرب البلاد، لا تزال آثار المعارك على الأبنية والمنشآت السياحية شاهدة على تشوّه منظرها ا لجميل.

ويبدو حجم الدمار في الحجر والشجر كبيرا جدا، وهو يشير إلى عنف المعارك في تلك المنطقة طيلة سنوات، لذلك فإن المنطقة بحاجة إلى دعم كبير، كي تعود إلى جمالها من جديد.

ويقول رئيس مجلس بلدية الزبداني باسل دلاتي عن حجم الأعمال الضخمة التي نفذها المجلس بالتعاون مع المجتمع المحلي والمنظمات الدولية، إنّ مجلسه "عمل على إعادة الخدمات الأساسية إلى المدينة؛ والتي تمثلت في إعادة تأهيل طريق دمشق – الزبداني وإنارته بالطاقة الشمسية". ويضيف أنه "أزال الأنقاض من الشوارع الفرعية والرئيسية في المدينة لتسهيل عودة المدنيين الذين هجروها".

ويذكر أن الزبداني التي تعتبر المنطقة السياحية الأولى في ريف دمشق، ومقصد السياح الأول لعذوبة مياهها وجودة ثمارها، كانت قبلة للمستثمرين في المشاريع السياحية إلا أن الحرب التي شهدتها سوريا والمنطقة تحديدا ألحقت أضرارا كبيرة بتلك المنشآت.

ويقول رئيس مجلس المدينة، إنّ "نحو 100 منشأة سياحية تضررت بسبب المعارك وهي تنتشر على طول طريق الزبداني، وتقدم خدمات سياحية متنوعة لقاصدي المنطقة".

وأضاف أنه "بعد استعادة الجيش السيطرة على المنطقة، سمح لأصحاب المنشآت السياحية بالعمل بغض النظر عن الإجراءات الإدارية من ناحية التراخيص، على أن تستكمل لاحقا؛ وهو ما شكل حافزا لأصحابها، لكن ظروف الحرب والحصار على سوريا، أجلت إقامة مشاريع استراتيجية في المنطقة".

وفي السياق ذاته، ذكر مصدر في محافظة ريف دمشق، أن الحكومة السورية "قدمت مساعدات كبيرة لإعادة تأهيل عموم منطقة الزبداني ومنها بلدات مضايا وبقين وبلودان، عبر تأهيل الطرق وتأمين الخدمات"، وقدّر نفس المصدر تكلفة المبالغ التي قامت الحكومة بضخها في المنطقة بالمليارات من الليرات السورية.

وأوضح أن "هناك شراكة حقيقية بين الحكومة والمجتمع المحلي في كافة النواحي الخدمية.. الجميع ساهم بما يستطيع في إعادة الحياة للمنطقة، وخاصة في بلدة بقين التي تحتوي على نبع للمياه العذبة".

ويذكر أن سنوات الحرب التي شهدتها الزبداني ومحيطها كان لها الأثر الكبير في خسارة مئات الآلاف من الأشجار المثمرة في عموم المنطقة .

> **100**
> منشأة سياحية تنتشر على طول طريق الزبداني وتقدم خدمات سياحية متنوعة لقاصدي المنطقة

وتحوّل سهل الزبداني الذي يمتد جنوب وغرب المدينة إلى منطقة عسكرية بامتياز لتحصن المسلحين بداخله وتسلط القوات الحكومية عليه من الجبال المحيطة؛ ما دفع الأهالي إلى هجر مزارعهم، وهو ما أدى إلى تيبّس الأشجار التي يعود عمر معظمها للعشرات من السنين وآخرها الحريق الذي اندلع العام الماضي وأتى على ما تبقى من أشجار في المنطقة.

ويقول محمد عبدالنبي، وهو صاحب مشتل لبيع الغراس في منطقة الزبداني، إنّ "الجفاف وقطع الأشجار والحرائق قضت على أشجار سهل الزبداني، والبالغ عددها نحو نصف مليون شجرة، والتي كانت تشكل غابة من الأشجار المثمرة".

وأشار إلى أنه "باع نحو 120 ألف غرسة من الأشجار المثمرة مع بداية الموسم الزراعي لفلاحي المنطقة"، وأنّ تلك الغرسات "تحتاج لسنوات حتى تكون مثمرة".

وعلى أطراف مدينة الزبداني الشمالية تتربّع بلدة سرغايا المتاخمة للحدود اللبنانية والتي تعرف بمدينة التفاح نظرا لإنتاجها الكبير من التفاح .

ويقول خالد شبلي، وهو مزارع في بلدة سرغايا، إنّ "البساتين تمتد بطول حوالي 25 كيلومترا وصولا إلى الحدود اللبنانية وعرض بحوالي 12 كيلومترا، ومن أبرز الأشجار المزروعة فيها التفاح؛ إذ تنتج المنطقة أطنانا من التفاح والكرز والمشمش، ويعتبر التفاح الذي يزرع في سرغايا من أجمل أنواع التفاح في العالم".

ويضيف شبلي أنّ "ظروف الحرب والحصار في المنطقة، وانقطاع التيار الكهرباء وارتفاع أسعار الديزل أثرت بشكل كبير على المحصول، وانعكس ذلك بشكل كبير على أسعار الفواكه التي تنتج هنا".

وطالب شبلي الحكومة بمساعدة المزارعين على تأمين الطاقة للمشاريع الزراعية بقروض ميسّرة للتخلص من تكاليف الكهرباء والديزل.

وعلى طول الطريق الذي يصل بين مدينة الزبداني وأوتوستراد بيروت دمشق تنتشر العشرات من المطاعم والاستراحات الشعبية.

ويقول حسين بدر، صاحب مطعم في مدخل مدينة الزبداني، إنّ "سنوات الحرب التي شهدتها المنطقة حرمت الدمشقيين وعموم زوار سوريا من الوصول إليها نظرا لما لها من تاريخ جميل في ذاكرة السوريين والعرب وكل زوار سوريا الذين كانوا يقصدونها".

ويشير بدر إلى عودة الحياة إلى المنطقة بعد انتهاء الأعمال العسكرية، والإقبال الكبير من السوريين وبعض الزوار من الدول العربية مما دفع العشرات من أصحاب المنشآت السياحية لعودتها إلى العمل وعلى عجل.

ولفت بدر إلى أنّ "فايروس كورونا، كان له دور كبير في منع قدوم السياح من لبنان والأردن والعراق وعموم السوريين من المجيء إضافة إلى ارتفاع الأسعار بسبب تدهور قيمة الليرة السورية"، مبينا أنّ "نسبة الإقبال في هذا العام لا تتجاوز الـ40 في المئة عن الموسم السابق".

ورغم كل الظروف التي تمر بها البلاد إلا أنّ حركة البناء وإعادة المنشآت السياحية تعمل بشكل كبير. ويقول صاحب منشأة سياحية "تحملنا سنوات الحرب ونعتبر عام كورونا واحدا منها.. نحن نعمل للمستقبل ولا نعمل لموسم واحد، هذا بلدنا ومن حقه علينا الاستثمار في الجانب الذي نستطيع أن نعمل به".

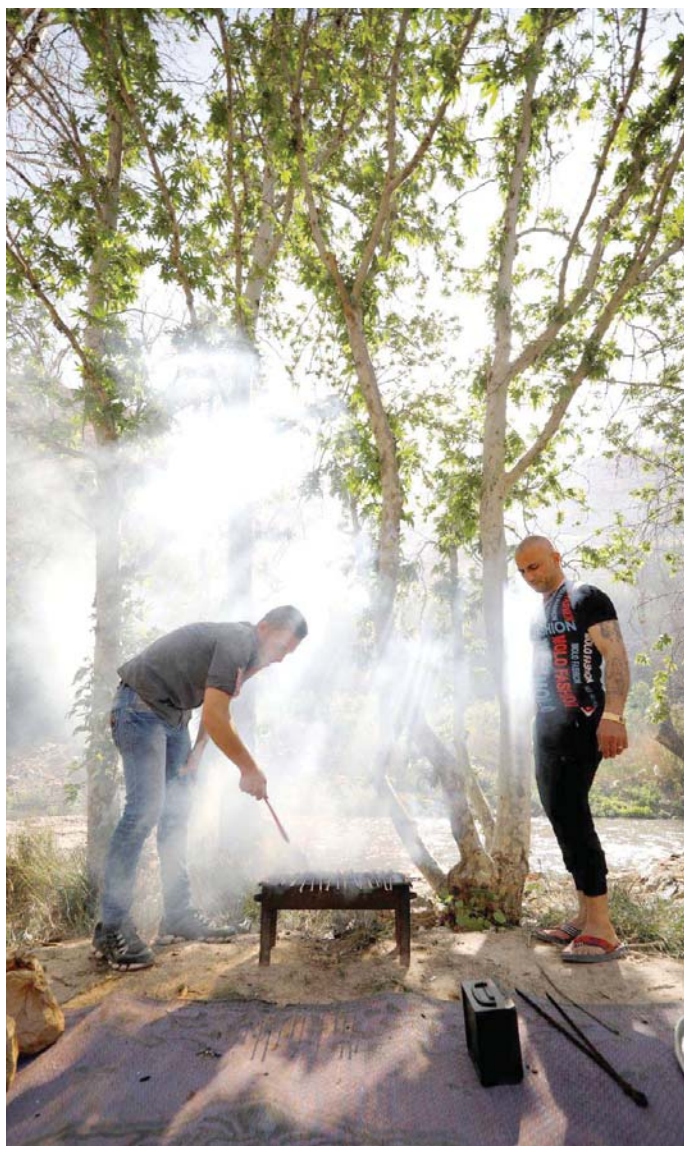

شوق إلى السيران

سكان المنطقة يمحون آثار الحرب

الحرب تدمر كل ما هو جميل

لبنانيون يركبون «قوارب الموت» هربا من الفقر

طرابلس (لبنان) - لم تتوقّع سعاد محمّد أن زوجها الذي اختار خوض غمار البحر على متن أحد قوارب الموت، هربا من فقر مدقع في شمال لبنان، ستبتلعه الأمواج قبل بلوغه قبرص ولن تعود حتى جثته إليها.

وتقول سعاد (27 عاما)، وهي تحضن رضيعها بينما تغالبها دموعها "أنتظر جثة زوجي".

وزوجها شادي رمضان (35 عاما) السوري الجنسية كان في عداد العشرات الذين فروا على متن قارب انطلق من منطقة عكار شمالا بعدما دفعوا مبالغ مالية لأحد المهربين، أملين ببلوغ السواحل القبرصية على بعد 160 كيلومترا. وانتهى بهم الأمر ضائعين في عرض البحر لأيام قبل أن تعثر عليهم وحدة من قوة الأمم المتحدة المؤقتة في جنوب لبنان (يونيفيل) وتعيدهم الاثنين.

وعلى وقع الانهيار الاقتصادي الأسوأ في تاريخ لبنان، تكرّرت مؤخرا محاولات الهجرة غير الشرعية. واعترضت السلطات القبرصية واللبنانية خمسة قوارب على الأقل، أقلّت وفق الجانب القبرصي أكثر من 150 مهاجرا سوريا ولبنانيا، بينهم نساء وأطفال.

وفي منزل والديها في منطقة القبّة بمدينة طرابلس، إحدى أكثر مدن لبنان فقرا، تمرّ الدقائق على سعاد وكأنّها دهر. وتوضح من دون أن تتمالك نفسها "شادي رجل مسكين يعاني من مرض السكري ونوبات في الرأس، وهو يتيم الأم والأب"، مضيفة "هرب من لبنان من شدة الفقر لتأمين المال لنا". وفي أزقة طرابلس، عمل شادي خلال الأشهر الأخيرة على عربة لبيع المثلجات. ولم يكن مدخوله اليومي يتخطى العشرين ألف ليرة، أي دولارين ونصف وفق سعر الصرف في السوق السوداء، بينما سعر كيس الحفاضات 33 ألف ليرة.

وعلى وقع الأزمة الاقتصادية وتدهور سعر صرف الليرة، فقد السكان قدرتهم الشرائية في ظل ارتفاع جنوني في أسعار السلع على أنواعها. وخسر عشرات الآلاف وظائفهم أو جزءا من مصادر دخلهم.

وفاقم انتشار فايروس كورونا المستجد ثم الانفجار الكارثي الذي وقع في مرفأ بيروت في 4 أغسطس الوضع الاقتصادي وزاده سوءا.

وعثرت قوة من اليونيفيل الاثنين على القارب وكان على متنه 36 شخصا وآخر متوف في المياه الدولية قبالة الشواطئ اللبنانية.

وتوزّع الركاب بين 25 سوريا وثمانية لبنانيين وثلاثة من جنسيات أخرى بحسب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

ورافق شادي في الرحلة عدد من أقارب زوجته من آل محمّد توفي منهم طفلان صغيران جراء العطش والجوع، ما دفع الركاب إلى رميهما في البحر، وفق ما ينقل زياد البيرة، أحد أفراد العائلة.

حياة الناس مقابل المال

ويروي زياد أن القارب انطلق من شاطئ المنية في 7 سبتمبر بعدما دفع كل راكب مبلغ خمسة ملايين ليرة "لأحد المهربين" الذي وصفه بأنه "من تجار البشر". وينقل عن ناجين أنّ المهرّب "منعهم من حمل أمتعتهم التي تحتوي على الماء والطعام وحليب الأطفال، وطلب منهم وضعها في مركب ثان لثقل الحمولة على أن يلتقوا سويا في إحدى الجزر، لكنه اختفى عنهم".

وبقي الركاب، وفق قوله "عالقين في البحر من دون مرشد وانقطع التواصل معهم لأيام إلى أن عثرت عليهم اليونيفيل".

وبحسب زياد، بادر شادي، زوج سعاد، إلى السباحة لاستطلاع إمكانية العثور على وسيلة إنقاذ بعد وفاة الطفلين "لكنه ذهب ولم يعد".

وأقدم محمّد (27 عاما) على الأمر ذاته ولم يعد أيضا. ويروي والده خلدون (54 عاما) "كان ابني عاطلا عن العمل، وهرب من دون علمي".

ويضيف بغصّة بينما يعرض صورة لابنه عبر هاتفه "بقي المهرّب يطمئننا أن المركب وصل بخير، إلى أن اكتشفنا بعد ثلاثة أيام أنه يخدعنا ولم نستطع التواصل مع أحد من أولادنا".

ومنذ انكشاف مصير القارب، يحاول أفراد عائلة محمّد عبثا التواصل مع المهرّب، وهو أحد أبناء المنطقة، لكنه متوار عن الأنظار. وتم حتى الآن تقديم ثلاث شكاوى بحقه أمام النيابة العامة التمييزية.

ولم يكن هذا القارب الأول الذي يغادر شواطئ الشمال اللبناني باتجاه قبرص خلال الأسابيع الماضية. ورغم أن الرحلة محفوفة بالمخاطر، لكنّ الكثيرين يفضلون قوارب الموت هذه على العوز.

ومطلع الشهر الحالي، هرب العشرات من منطقة الميناء، بعدما اشتروا قاربا مشتركا تقاسموا ثمنه بعدما باعوا مقتنيات منازلهم، وفق ما يروي خالد عبدلي (47 عاما) الذي كان في عدادهم مع صديقه محمّد الخانجي (37 عاما).

وبعد 40 ساعة في البحر، اعترضت البحرية القبرصية قاربهم لتعيدهم لاحقا مع مجموعة لبنانية أخرى كانت وصلت قبلهم من طرابلس.

ويقول خالد الذي يعمل حارسا لمدرسة ويجني نحو ثلاثة دولارات يوميا "ما زلت مصرّا على أن أعيد تجربة الهروب بأي ثمن".

أما محمّد، بائع الخضار المتجول وأب لطفلين صغيرين، فقد اختار الهرب بعدما أصبح "عاجزا" عن تأمين احتياجات عائلته الأساسية ودفع إيجار منزله.

ويروي "رأينا الموت بأعيننا، فيما كان الأطفال يبكون طوال الوقت". وبرغم ذلك يبدي استعداده لإعادة الكرّة مجددا، مؤكدا "سأفعل المستحيل لأطعم أولادي (..) من سابع المستحيلات أن أبقى في هذه البلاد".

ويقول "إما أن نصل أو نموت سريعا بينما في هذا البلد نموت ببطء".

> القوارب تغادر شواطئ الشمال اللبناني باتجاه قبرص في رحلة محفوفة بالمخاطر غالبا ما تخلف لوعة بين العائلات رغم ما يعانونه من عوز وفقر